

في طريق التكوين» ينتهي الى مقارنات مستنبطة ويغلب عليها طابع المفارقة . فاعتبار الحركة الصهيونية بمثابة « حكومة » تسعى للحصول على دولة يقودنا الى التساؤل عن مقومات تلك الحكومة الصهيونية التي كانت بدون دولة تحكمها . مثلما ان اعتبار المؤتمر الصهيوني في مقام المجلس التمثيلي او « برلمان الحركة الصهيونية » — كما تصفه مصادر التاريخ الصهيوني — يؤدي بنا الى اثاره المزيد من التساؤلات المتعلقة بحجم « السكان » الذين يدعي تمثيلهم والنطق باسمهم . فالاكثرية الساحقة بين يهود العالم ظلت قابضة خارج حظيرة الحركة الصهيونية ومنظمتها العالمية . والمؤتمر الصهيوني ادعى لنفسه صفة تمثيل ما اسماه بـ « الشعب اليهودي » ، بعد ان اضى على مفهومه لهذا الشعب تصورا ينسب اليه ككل صفة السعي نحو تقرير المصير واقامة الكيان الذاتي المستقل . حتى ان الموسوعة الصادرة مؤخرا عن « اسرائيل والصهيونية » ارتأت تخفيف حدة المفارقة العجيبة بواسطة استدراك مفاده ان « برلمان الحركة الصهيونية » ( او المؤتمر الصهيوني الذي اوجده هرتزل ) كان في البداية « يرمز » ، بدلا من « يمثل » ، الى تقرير المصير الذي سعى اليه « الشعب اليهودي » . واعتبر كاتب المقالة عن « المؤتمر الصهيوني » في الموسوعة المشار اليها ان هذا المؤتمر جاء رمزا لاحساس اليهود بوحدتهم القومية ، وتعبيرا عن رغبتهم في احراز الكيان السياسي ضمن اطار دولة مستقلة . وفي مقالة عن « تاريخ الصهيونية » تضمنها الموسوعة اياها يوصف المؤتمر الصهيوني بأنه قد أصبح « البرلمان اليهودي في المنفى » .

بينما شاء ناحوم غولدمان أن يوجز طبيعة الملابس التي أحاطت بمدلول المفارقة على صعيد الواقع والممارسة العملية ، كما على الصعيد النظري المجرد ، فقال ان مشكلة الحركة الصهيونية وأجهزتها الرسمية كانت في « التصرف كدولة دون ان تكون دولة ! » علما بأن الوكالة اليهودية — التابعة للمنظمة الصهيونية — لم تترك فرصة تفوت في ظل الانتداب البريطاني على فلسطين دون أن تتصرف على غرار « حكومة داخل الحكومة » او « دولة ضمن الدولة المنتدبة » .

ولكي نتوقف عن الاستطراد في اجراء المقارنات واستخدام التشابيه والاستعارات ، يجدر بنا الانتقال الى صلب الموضوع الذي تحاول هذه الدراسة تناوله بالبحث والتحليل ، الى جانب الوصف والتقرير . بيد أن التعميمات المتقدمة ذكرها تمت بوثيق الصلة السي موضوعنا ، كما انها تؤلف خلفيته التاريخية بكافة منظوراتها الايدولوجية والتنظيمية والعملية ( على صعيد التركيز السكاني وعبر ارساء قواعد للاستعمار الاستيطاني ) .

ان السؤال التمهيدي الذي تطرحه هذه الدراسة ، لتحاول الانطلاق منه الى متابعة البحث في الحركة الصهيونية العالمية بعد قيام الدولة اليهودية — اسرائيل — بفلسطين ، يتعلق بالمبررات وراء وجود تلك الحركة واستمرارها في العمل والنشاط عقب انشاء الدولة التي كانت تنشدها ، وغداة تحقيق الهدف السياسي الذي سعت نحو بلوغه طيلة نصف قرن من تاريخها . وعلى محمل السذاجة ، انه لمن الطبيعي أن تبادر حركة سياسية تتوسل الاستعمار الاستيطاني لبلوغ هدفها الى حل نفسها أو الى اعتبار مهمتها في حكم المنتهية ، بعد احراز الهدف وانجاز المهمة . لكن الحركة الصهيونية استمرت على قيد الوجود بعد أن وجدت دولتها اليهودية المنشودة . ولقد انقضت على وجودها منذ قيام اسرائيل وحتى الآن ما يقارب ربع قرن من الزمن . هذه الفترة من وجود الحركة الصهيونية العالمية في ظل الدولة اليهودية القائمة فوق أرض فلسطين تؤلف الاطار العام لتحرك الدراسة — على امتداد خمس وعشرين عاما ( ١٩٤٨ — ١٩٧٣ ) من التطورات والنشاط المتواصل في خدمة أهداف بعيدة المدى تتجاوز حدود البرنامج الصهيوني الاصلي وتتعدى نطاق الغايات المعلنة .

لذا يجوز للباحث في موضوع الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل أن يتساءل : كيف